مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2600-6405 Issn : 2353-0472
المجلد 1/ العـدد: 03 (2013)، ص 68- 83

مساهمة الحركة الإصلاحية في بناء المجتمع الجزائري المعاصر 1952/1900

الدكتور: أحمد مريوش[1]

[1]المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة- الجزائر

تاريخ الاستلام: 2013/08/01 تاريخ القبول: 23 /2013/08 تاريخ النشر: 2013/09/01

مما لا شك فيه أن بداية القرن العشرين تعد مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر المعاصر، وهي بداية جديدة عكست مظاهر التحول التي أثرت على البنية الفكرية والدينية والسياسية للجزائريين، وقد شهدت الفترة تحولات في مناهج العمل والغايات، وأضحى ذلك تحول السمة الجديدة في مطالب النخبة الجزائرية التي سبقت غيرها إلى التفكير بكل جدية في قضايا الجزائر بعد أن أرهقتها المقاومات الشعبية، وبذلك أصبح نهج التغيير يتجه نحو الوسيلة السلمية التي أضحت أكثر من ضرورة لدى النخب الجديدة [1].

والظاهر أن العشرية الأولى من القرن الماضي كانت كافية إلى حد كبير في تغيير أسلوب عمل المقاومة الجزائرية التي ابتعدت رويدا عن فعل التصادم مع الاستعمار إلى تبني أسلوب بناء ثقافة التعايش المرحلية مع الطرف الآخر حتى تكتمل النظرة ويستقيم المنهاج لإرساء أسس جديدة في البناء الفكري والعقائدي وحتى الاجتماعي، والاقتصادي وكذا الاعتماد على الذات المحلية لتنمية المقوم الوطني بعيدا عن نهج الإتكالية والخنوع للغير، ولذلك صح القول أن فكر التصادم مع الاستعمار أصبح ثانويا مقارنة بالماضي القريب، ولو أنه بقى دفين الأنفس الجزائرية الثائرة من حين لآخر في وجه السياسة الفرنسية المتعجرفة.

ومن تم أصبحت طروحات البناء الثقافي والفكري والتاريخي والديني من أولى أولويات النخبة الوطنية [2]، وقد طفت على الساحة الجزائرية وقتها قضايا كانت شبه غائبة قبل ذلك التاريخ منها قضية استرجاع الهوية العربية الإسلامية وكيان

ومقومات الأمة الجزائرية الشبه مفقودة، وقد أدرجت العديد من هذه القيم في مطالب وبرامج الأحزاب والنوادي والجمعيات الجزائرية الناشئة مع بداية القرن العشرين [3].

وفي أواخر مرحلة العشرينيات وبداية الثلاثينيات من القرن الماضي برزت خريطة وطنية لاتجاهات سياسية مختلفة : منها التوجه الاستقلالي، والاندماجي، والإصلاحي [4]، ومن دون شك أن كل تيار من هذه التيارات السالفة الذكر رصد لنفسه معالم واضحة في حركية بناء المجتمع الجزائري من الوجهة الفكرية والاجتماعية والثقافية والسياسية، ونحن هنا ما يهمنا منها سوى برنامج التوجه الإصلاحي، وكيف وظف قدراته في هيكلة المجتمع، وما هي المناهج التي أعتمدها في عملية البناء ؟ وهل وفق في رسم معالم مجتمع جزائري جديد استرد ما ضاع منه في السابق ؟

من دون شك أن التوجه الإصلاحي كان أقرب إلى هموم وقضايا الجزائريين من غيره من الأحزاب الأخرى، فالنجم مثلا اهتم بطبقة العمال وكانت قوته في فرنسا حتى منتصف الثلاثينيات، في حين ناد النواب ببعض الحقوق في ظل الأبوة الفرنسية ولكنها التي ظلت محتشمة بل وعالقة حتى أنها لم تجد السماع من قبل فرنسا برغم تبعية هذه الجماعة للسياسة الفرنسية [5]، لكن التوجه الذي أقلق فرنسا في الجزائر منذ بداية الثلاثينيات هو بروز نخبة من رجال الإصلاح الذين تشبعوا بالقيم الدينية والوطنية وكان عملهم مركزا على تصحيح المعتقدات والوقوف عند القيم المسلوبة للجزائريين والممثلة في تشويه الهوية والقضاء على رموزها، وتكوين جيل جزائري مريض بفصام الشخصية وهو لا يمد بصلة للجزائر المتأصلة.

وسوف نحول من خلال هذه الورقة أن نقدم نموذجا واحدا عن هذه التيارات الفاعلة في جزائر الثلاثينيات والإربعينيات، وهو ما قدمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في البناء التاريخي للجزائر المعاصرة، وكيف عالج رجال

الإصلاح الوضعية الجزائرية المزرية التي طمس معالمها الاستعمار الفرنسي لأكثر من قرن من الاحتلال ؟ ثم ما هو نموذج المجتمع الجزائري الذي ترغب فيه الحركة الإصلاحية ؟ وما هي الميكانيزمات التي وفرتها لذلك ؟ وهل تمكنت الجمعية من رسم معالم ناجعة لهذا المجتمع الجزائري الجديد الذي تريده في ظل التواجد الاستعماري ؟ وما هي الخطط التي وضعتها الجمعية لتحقيق ذلك ؟ وما هي الميادين التي خصتها الحركية الإصلاحية بالعمل ؟

يبدو أن حركة الإصلاح الإسلامية قد رسمت لنفسها منهجية العمل كغيرها من الأحزاب والجمعيات السياسية والثقافية الأخرى، حتى تتخطى أنظار الحركة الاستعمارية التي كانت دوما موجهة ضد أية حركة وطنية خادمة للجزائريين [6]، وخصوصا النجميين والعلماء، ويمكن أن نقيم مساهمة رجال الإصلاح ودورهم في بناء المجتمع الجزائري مابين 1952/1900 في الخطوات التالية :

أولا : مرحلة البناء الشمولي

وشملت جل التطورات التي مرت بها الحركة الإصلاحية منذ تأسيس الجمعية إلى حلها سنة 1956 وقد استنبطت برنامجها ومنهاج عملها على الأسس التالية :

1/ الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسلف الصالح وتلك هي المرجعيات الأساسية في سياسة الإصلاح الذي تبنته الجمعية.

2/ مخاطبة العقل والدعوة للحداثة، ومحاربة الجمود والتصدي للطرقية والخرافات والبدعة التي عششت في عقلية الجزائريين.

3/ الاعتماد على المرحلية في النهج الإصلاحي، وكذا التعايش مع الطرف الآخر بغرض تثمين الذات الوطنية واستعادة ما استلب منها، ونبذ الخلاف لرسم معالم التوجه الجديد.

4/ توظيف الكيف لضمان الاستمرارية في الحقل البنائي لحركية المجتمع.

ثانيا : مراحل العمل الإصلاحي

ويتجلى في مرحلتين أساسيتين هما : البناء التاريخي للجزائر من خلال جهود رجال الإصلاح مع مطلع القرن العشرين، ومن تم أمكن تقسيم هذه المراحل إلى مرحلتين أساسيتين تركت كل واحدة منها بصماتها في مرحلة البناء، وإن اختلفت في قيمتها من حقبة لأخرى بحكم الكثير من المتغيرات والمستجدات وخصوصا خلال الحقبة الثانية بعد تبلور التيارات السياسية الوطنية، ويمكن أن نميز بين المرحلتين فيما يلي :

1/ مرحلة الإصلاح الفردي 1931/1900

يعد بداية موفقة في تاريخ العمل الإصلاحي، إذ أرسى دعائم فاعلة في البنية الثقافية والدينية وحتى المنهجية للجزائريين، وبرزت مجموعة من رواد حركة الإصلاح الإسلامي الذين رجعوا من المشرق الإسلامي يحملون طموحات وتجارب قيمة ساهموا فيها وعايشوا بعضها في موطن تواجدهم بالبلاد العربية والإسلامية، ولذلك أخذوا على عاتقهم حركة جديدةلم تكن مألوفة من قبل لدى عامة الجزائريين، وهي توظيف واستعمال حلق الدرس والتبليغ والدعوة والكتابة في الصحافة ونقذ الطرف الآخر والاهتمام بجلب الطباعة ونشر الثرات ونحوه من القيم الفاضلة التي حاربتها فرنسا بوسائلها الجهنمية.

وخلال هذه الفترة غلب على الإصلاح العمل الفردي وحتى الجغرافي، بحيث يرى الدارس أن الجزائر وقتها عرفت أقاليم محددة في حقل الدعوة مثل إقليم قسنطينة الذي برزت فيه شهرة بن باديس [7]، وإقليم الزيبان الذي اشتهر به الطيب العقبي [8]، وإقليم الوسط الذي برزت به بعض العائلات الراغبة في الإصلاح مثل عائلة بن المرابط وباشتارزي وعباس التركي، والحاج الزواوي، والحاج محفوظ بن التركي، وقدور ردوسي، ومحمد بن الحفاف [9] وقد تكاثفت جهود هؤلاء المحسنين مع مجموعة من ذوي البر والإحسان وتمكنوا من شراء نادي الترقي

بالجزائر العاصمة، وبرغم ذلك يمكن القول أن حركة الإصلاح خلال هذه الحقبة لم ترق إلى درجة الجهود المشتركة [10]. وخير مثال على ذلك فشل جمعية الإخاء العلمي التي كان بن باديس وجماعته يردون تأسيسها في قسنطينة قبل ميلاد الجمعية والتي لم يشر الإبراهيمي في كتاباته لأسباب فشلها.

2/ مرحلة الإصلاح الجماعي الممنهج 1952/1931

ويقصد به الإصلاح الوطني الشامل والمنسجم الذي عرفته الجزائر بعد ميلاد جمعية العلماء المسلمين في 5 ماي 1931، وتعد المرحلة استمرارا لجهود الرواد الأوائل لرجال الإصلاح، ولو أن المرحلة الجديدة امتازت بالتركيز والنوعية والمنهجية والمراهنة على البعد الوطني لا الإقليمي في حركة الإصلاح، لذلك كانت أكثر خطورة على الوجود الفرنسي عن سابقاتها بحسب ما ذكرته التقارير الفرنسية لأن عمل العلماء جسد جبهة قوية متماسكة من حيث الأشخاص والأهداف.

ثالثا : وسائل العمل الإصلاحي

إن المتتبع المسار الذي سطرته الجمعية في رسالة الدعوة الإصلاحية يجده متنوعا في وسائله قريبا في مراميه وأهدافه، وكان مرد ذلك يعود بالأساس إلى الأهمية التي كانت الجمعية تتوخاها من خلال عملها في حقبة حالكة قال عنها الإبراهيمي أن فرنسا تريد بها إرجاع الجزائريين إلى ما قبل الإسلام وإفراغهم من الوازع الديني المبني على المقوم الوطني.

وكان الهدف من التنوع في وسائل العمل الإصلاحي مرده بالأساس إلى ضرورة القضاء المبكر على سلبيات سياسة المسخ الاستعمارية التي حجرت العقل الجزائري، وشجعت طرائق التنويم وغرست العديد من الطرقيين في الكثير من الأقاليم الأهلة بالسكان بغية التنوع في المعرفة الدينية المؤسسة على الفكر الاستعماري علما وأن العديد من شيوخ الطرق تزوجوا بالشقروات الفرنسيات وأصبحوا في خدمة فرنسا [11].

وبالفعل فقد واجهت الجمعية هذه الزمر قبل أن تواجه السياسة الفرنسية، واستعملت في ذلك جملة من الوسائل التي ظلت معالم مميزة في منهجية الحركة الإصلاحية ولعلنا نقف عند أهمها والتي منها :

1/ توظيف مجالس التذكير

وتجلى ذلك منذ عودة كوكبة العلماء من المشرق العربي وخوضهم لحركة إصلاحية جدية تمثلت في الأسلوب الدعوي والخطابي من خلال الحلقات التي كان يعقدها العلماء في المجالس المختلفة خاصة في حلق الدرس بالمساجد والمناسبات العديدة منها الدينية ونحوها وحتى في مناسبات المآتم، وكان بن باديس والميلي والعقبي وخير الدين ومحمد العيد والإبراهيمي وبوكوشة والطرابلسي وسعيد صالحي والورتلاني وأبو اليقظان وغيرهم من العلماء ينشطون في هذه المجالس، وكانت الدروس توعوية تذكر الجزائريين بما ينفعهم في دينهم ودنياهم وهي مستوحاة من القرآن والسنة النبوية المطهرة، وكانت في بعض الأحيان تركز على تفسير القران الكريم مثلما كان يفعله بن باديس في الجامع الأخضر، وقد جمع عمله هذا محمد الصالح رمضان وطبعه بعد الاستقلال في كتاب مجالس التذكير في أجرائه العديدة.

2/ الإعتماد على حقل التربية والتكوين

يعد هذا الحقل من المعالم الهامة في أسلوب العمل الإصلاحي الذي تبنته الجمعية، باعتبار أن عملية التربية والتعليم تعد من الأسس المكونة للأمم والشعوب وفق أنماط مدروسة ومعينة، وأن بناء الفكر وتكوين الجيل الراشد يستلزم بالضرورة منهاج مدرسي وظيفي وهادف ورجال لهم من الكفاءة والمقدرة على التضحية والتوصيل المعرفي وكلها معالم بارزة في حركية الإصلاح الذي رسمته الجمعية.

والتعليم لدى الجمعية لم يقتصر على المدرسة الحرة التي اشتهرت بها، بل تعداه إلى التعليم المسجدي والمنزلي والمكتبي، وكانت الطبقة البرجوازية من العائلات الجزائرية توفر لأبنائها المعلمين والأساتذة في المنزل، وهو ما يعرف اليوم بالدروس الخصوصية، كما أن منهجية التعليم لدى الجمعية أدخلت عليها الكثير من التغييرات بحيث استفادت إلى حد كبير من المناهج المتبعة في بلدان المشرق العربي سواء في مصر أو لبنان، كما أحدث المدرسة الإصلاحية مواد جديدة في برامج التدريس ولم يبق التعليم بها تقليديا يقوم على الحفظ فقط بل طعمت المدرسة الحرة بالعلوم العصرية مثل الرياضيات وعلم الفلك والحساب والأشياء والتاريخ والجغرافيا، وبذلك أصبحت المدرسة وظيفية حتى تصب في البناء الوطني من جهة، ومن جهة أخرى حتى تتصدي للمدرسة الفرنسية [12] التي كانت لها خصوصيات محددة بعد أن رسمها جول فيري في برنامجه الإصلاحي الخاص بالمدرسة الكولونيالية مع نهاية القرن التاسع عشر [13].

ومن تم كانت المدرسة الإصلاحية منافسة للمدرسة الفرنسية، بل جلبت في الكثير من الأحيان الطلبة من المدرسة الفرنسية وانتسب العديد منهم للمدرسة الحرة بعد أن وجدوا فيها المقومات الحضارية مع علمهم المسبق بأن طلبة المدرسة الفرنسية هم أكثر حظا للحصول على الوظيفة من طلبة المدرسة الحرة، لكن ذلك لم يمنعهم من متابعة الدروس بالمدارس الحرة [14]. وهناك أسماء كثيرة كانوا بالمدرسة الثعالبية وطلبة في مدارس الجمعية خصوصا في الأوقات المسائية.

3/ تأسيس الحركة الصحفية الوطنية

عرف القرن التاسع عشر ظهور عناوين صحفية خاصة بالمعمرين مثل الأخبار والمبشر ونحوهما، ولم تكن هذه العناوين من اهتمامات الجزائريين ولا هي في متناولهم بالقراءة والكتابة، باستثناء قلة قليلة منهم من سعفه الحظ في الكتابة فيها أو قراءتها لأنها تأسست لخدمة المعمرين ونقل أخبار الإدارة وتتبع أثر

المقاومة الشعبية. ومع بداية القرن العشرين ظهرت صحافة جزائرية أخذت في الاهتمام بقضايا الجزائر، وخصوصا مع بداية العشرية الأولى من القرن وبروز صورة المقاومة الفكرية للاحتلال الفرنسي في الصحافة الوطنية في الكثير من الجرائد مثل الإقدام للأمير خالد، والنجاح في مرحلتها الأولى لعبد الحفيظ بن الهاشمي، والصديق ل محمد بن بكير، والجزائر للزاهري، والمنتقد لابن باديس ووادي ميزاب لأبي اليقظان، والإصلاح للعقبي والسنة والصراط والشريعة والبصائر للجمعية بعد ميلاد الحركة الصحفية الإصلاحية عبرت عناوينها عن مضامينها سواء في مرحلة الإصلاح الفردي أو الجماعي، وقد غيرت هذه الصحافة من الذهنيات الجزائرية ووجهتها توجها وطنيا وبلسان عربي مبين [15].

ومن القضايا الملفتة للاهتمام أن جل الصحف التي عرفتها جزائر بداية القرن كانت تصدر باللغة العربية، وهو تحد جديد ضد الصحافة الفرنسية، وتعبير حقيقي عن الذات الوطنية التي سعى الاستعمار لطمسها منذ بداية القرن التاسع عشر، كما أن المواضيع التي عالجتها هذه الصحافة كانت شبه محظورة على الجزائريين قبل ذلك التاريخ، ومن القضايا التي تناولتها الصحافة موضوع التجنس وقضايا المرأة والحقوق المهضومة، وقضايا الطفولة المشردة وأثر الجهل على مستقبل الشعوب وقضايا الأدب والفكر ومواضيع تخص العالم العربي والإسلامي، وبالتالي ساهمت الصحافة في نشر الوعي والتفكير في قضايا الجزائر، ولذلك لم تسلم من رقابة السلطة الفرنسية وتعرض الكثير منها للعراقيل والحجز والتوقف والمصادرة [16]. وأحينا للعجز المالي الذي سبب في توقفها.

4/ الخطاب النهضوي المباشر

إذا كانت الصحافة هي عين العمل الإصلاحي، فإن العمل الدعوي ونشر الفضيلة بين الناس كانت من أولى الأولويات بالنسبة لرجال الحركة الإصلاحية وكانت الكلمة المباشرة والخطاب الدعوي مع الرعية يمر إلى النفوس من دون متاعب

تذكر، ولذلك كانت منابر المساجد ومؤسسات الثقافية ودور العليم وحضور المناسبات الدينية وحتى الولائم والأفراح كلها معا لم وظفها رجال الإصلاح في بعث اليقظة والدعوة لإيقاظ الضمائر الحية وانتشال البعض منها من ربق الجهل وتحجر دعوة الطرقيين.

وأصبح الخطاب الحداثي والدعوة لتنوير الفكر والعقلنة من مميزات الطرح الجديد الذي تباه رجال الدعوة الإصلاحية التي تعرضت للكثير من المضايقات وحاولت مديرية الشؤون الأهلية في الكثير من المرات ردع العلماء، بل أعطت الإيعازات لبعضهم لتكسير الصف الإصلاحي ومن أمثلة ذلك بروز جمعية علماء السنة سنة 1932 بزعامة مولود الحافظي وعمر إسماعيل لخلق هوة سحيقة بين رجال الإصلاح، وصدور قرار ميشال المشئوم سنة 1933 لخنق صوت بن باديس والعقبي واتهامهما بالتعاون مع التيار الشيوعي لضرب الإدارة الفرنسية. واتهام العقبي باغتيال الشيخ كحول وسجنه سنة 1936 وغرها من المكايد الفرنسية الجهنمية ضد رجال الحركة الوطنية بما فيهم رجال السياسة والإصلاح [17].

5/ القيام بالرحلات والجولات عبر التراب الوطني

من دون شك أن نشاط الحركة الإصلاحية كان قاعديا ولم يكن أفقيا، وقد ألزم هذا النهج من رجال الجمعية على برمجة العديد من الخرجان الميدانية والقيام بالجولات إلى مناطق عدة من جهات الوطن بغرض المعاينة والوقوف على ما أنجزته الجمعية من جهة، وكذا الاستماع إلى الأتباع والمناصرين عن قرب وتحسيسهم بأهم القضايا المطروحة.

وكانت رحلات المكتب الإداري للجمعية تقويمية بحتة تمكنت من خلالها القيام بالمراقبة وبرمجت المشاريع المستقبلية، وكانت الجولات عادية عادة ما تبرمج في رزنامة خاصة تكون معلومة للجميع توضع خلال الاجتماع السنوي الذي كانت الجمعية تعقده سنويا بنادي الترقي بالجزائر العاصمة [18]، ومن تم فإن جولات

رجال الجمعية لم تكن سرية بل كانت معروفة حتى لدى الإدارة الفرنسية من الناحية الزمنية والمكانية.

والغريب في الأمر أن رجال فرنسا عادة ما كانوا يحضرون إلى الكثير من المهرجانات الشعبية التي كانت الجمعية تعقدها خلال القيام بالجولات التي عادة ما كانت تزامن الأعياد والمواسم الدينية والمناسبات كعيد الفروسية وموسم جني التمور والمحصول الزراعي وخلال افتتاح الموسم الدراسي وتوزيع الجوائز في نهاية السنة الدراسية، وكل ذلك كان مناسبة قيمة استغلته الجمعية لنشر مبادئها وأهدافها الإصلاحية وتوهم فرنسا بأنها بعيدة عن قضايا السياسة.

6/ كتابة العرائض وإرسال الوفود

إذا كانت نخبة بداية القرن عرف عنها كتابة العرائض والسفر إلى فرنسا لتقديم المطالب، فإن الجمعية كانت هي الأخرى عبرت في العديد من المرات عن مطالبها بإرسال برقيات الاحتجاج للإدارة الفرنسية تعبر من خلالها عن مظالمها ومطالبها وتطلب من فرنسا بتحرير الديانة الإسلامية وحرية التعبير والتنقل وترسيم اللغة العربية في التدريس والإدارة، وبعث مقومات الهوية الجزائرية المسلوبة، وتوسيع التعليم لكل الجزائريين مع تسهيل فتح المدارس واستعادة الأوقاف الإسلامية المغتصبة وتوظيفها في الحقل التعليمي والاجتماعي، ومنح الفرص للجميع، وتلك المطالب هي هموم وانشغالات الكثير من الجزائريين، والمتصفح لجرائد الجمعية يجد بها الكثير من برقيات الاحتجاج ضد كل إجراء فرنسي تعسفي في حق الجزائريين فعلى سبيل المثال كونت الجمعية ضجة كبيرة إعلاميا ضد قرار ميشال المشئوم سنة 1933، كما أفضحت رحلة ريني الخائبة للجزائر سنة 1935، كما كشفت عن تهاون فرنسا فيما وعدت به خلال المؤتمر الإسلامي سنة 1936، كما رفضت بشدة قرار شوطان الصادر ضد العربية سنة 1938، كما قدمت مذكرة مطالب إلى لجنة الإصلاحات الإسلامية سنة 1944 [19].

وكانت اهتمامات الحركة الإصلاحية منذ تأسيسها سنة 1931 تعد امتدادا طبيعيا لكل الجهود السابقة في حقل الدعوة لإصلاح المجتمع سواء خلال مرحلة العمل الفردي أو من خلال جهود الرواد الأوائل للإصلاح عشية نهاية القرن التاسع عشر وبداية النهضة مع مطلع القرن العشرين، كما أن جهود الجمعية عالجت ميادين عدة من انشغالات الجزائريين منها بعث الحركة الفكرية والتعليمية والاهتمام بالشباب والناشئة، وقضايا المرأة، ومحو الأمية للكبار، وترشيد دور المسجد ودور التعليم وتوسيع حلق الدرس والتوعية التي بلغت المناطق الريفية، كما أن العمل الدعوي خاطب العقل وحث على قضية جوهرية وهي مسايرة الحداثة مع البقاء على الأصول الأولى للسلف الصالح. ومن تم لم تكن دعوة الجمعية دعوة دينية صوفية روحية بحتة، يقدر ما كانت حركة تجديدية استلهمت أسسها ومقوماتها من عنصري الزمان والمكان ومثلت فكر الأصالة والمعاصرة في مشروعها النهضوي الذي يتطابق مع الزمان والمكان.

7/ تأسيس الجمعيات وفتح النوادي الثقافية

لقد ركزت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تأسيس العديد من الجمعيات التابعة لها بغرض تمكين مشروعها النهضوي، ووضع الأطر الهامة لتحقيق مشروع المجتمع الجزائري الذي تراه مناسبا لعملها الإصلاحي، والمؤسس على جملة من الثوابت الوطنية التي كانت دوما تطالب باسترجاعها. وقد نوعت جمعية العلماء في تشكيل الجمعيات التابعة لها من جمعيات دينية تتولى السهر والإشراف على تولي شؤون المساجد وجمع التبرعات وتنظيم حالة المجتمع إلى المساهمة في حركية التعليم وبناء المدارس وجمع التبرعات وكان مثل هذه الجمعيات يوجد في كل الأحياء والقرى والمداشر [20]، كما أسست أيضا جمعيات شبا نية تحت سماء الحركة الكشفية الإسلامية التي تعد المدرسة الرائدة في التكوين الوطني للشبيبة الجزائرية وقتئذ وكثيرا ما تغذت الحركة الكشفية بالبادئ والقيم التي كانت الجمعية تدعوا إليها

والمؤسسة على حب الوطن وتعلم العربية وتطبيق مبادئ الدين الإسلامي ورفض الاستعمار والاعتماد على الذات والتعامل مع الغير وفق ما تمليه المرحلة [21].

كما دعمت الجمعية بدورها حركة الشباب الجزائري وحثه على توظيف الوقت واستغلاله إستغالا محكما في قضايا الفكر والرياضة والابتعاد على الجمود والخمول، ومن تم محاربة الآفات والتصدي للمنكرات وخاصة تناول الحشيش وغيرها من الموبقات التي كانت تروج لها العديد من الأطراف الاستعمارية بغرض قتل طموح الشباب وغرس اليأس في نفسه، لذلك كانت العديد من الفرق الرياضية تؤم نادي الترقي باعتباره القلعة الإصلاحية الحصينة، وكانت تستمع لدروس العلماء، وبالخصوص دروس العقبي. ومن بين هذه الفرق مولودية الجزائر العاصمة [22].

كما أسست الجمعية بدرها جمعيات خيرية تتولى التكفل بقضايا المجتمع الجزائري والسهر على توفير ما يمكن له من الحاجيات الضرورية، ولعل من بين هذه الجمعيات الجمعية الخيرية بالعاصمة التي تأسست في، وكان هدفها خيري بالدرجة الأولى، إذ تولت الاهتمام بالمريض والطفل المتعلم والبنت وشؤون الأسرة وكذا تعليم المرأة الحرفة الخياطة والطرز ونحوها من الأنشطة الاجتماعية وكانت المرأة تحضر في العديد من المناسبات للسماع لدروس العلماء بنادي الترقي وغيرها من النوادي التي كانت الجمعية تنشطهم لغرض الدمج الاجتماعي، بل كانت الخيرية تعد مؤتمرها السنوي في العاصمة وتعرض خلاله الكثير من الأنشطة التي قامت بها خلال السنة ومنها عرض المنتجات التي صنعتها المرأة الجزائرية وتباع خلال نهاية المعرض على أن تكون العائدات لحساب الخيرية [23].

والخلاصة أن جمعية العلماء كانت يهدف من وراء عملها الإصلاحي بناء مجتمع جزائري معاصر مؤسس على القيم والثوابت الوطنية المكونة من الدين الإسلامي واللغة العربية والماضي الجزائري المرتبط بالحضارة العربية الإسلامية

وخصال السلف الصالح، ولذلك كانت مهام الجمعية بناء الإنسان الجزائري الجديد المفعم بالعقل والمنطق والمسلح بالعلم والمعرفة وكان بن باديس يقول دوما : " شعب متعلم لا يستعمر" كما أن حركية التغيير لدى رجال الإصلاح شملت الجانب القاعدي للمجتمع كما اهتمت أيضا البناء الأفقي وراهنت على النخبة الوطنية المكونة وفق مناهجها ومؤسساتها التربوية كمعلم جديد في وسيلة البناء وغرس المفاهيم والأفكار، بغرض ترصيص الصف الجزائري الذي راهنت على تمزيقه المدرسة الكولونيالية، كما أن عمل الجمعية اتسم بالهدوء والبرمجة ودراسة النتائج من خلال الجولات التي كانت الجمعية تقوم بها من فترة لأخرى لأرجاء من مناطق الوطن، وكثيرا ما كانت الجمعية تسعى للتوفيق بين التيارات السياسية بغرض المصالحة ولم الشمل الوطني. ومن تم فقد كونت الجمعية جيل جديد من الشباب الواعي بالمسؤولية، خدم الثوابت ولقن القيم وحافظ على كيان الأمة الجزائرية ولبى الواجب في غرة نوفمبر 1954، كما تولى طلبة الجمعية العديد من المسؤوليات القيادية خلال مسار الثورة التحريرية.

الإحالات المعتمدة في الدراسة

[1]. للتعرف أكثر حول بداية نشاط النخبة مع مطلع القرن راجع : أحمد مريوش، القضايا الوطنية في اهتمامات الأنتلجانسيا الجزائرية ما بين 1876/1927، مجلة حولية المؤرخ العدد 2، الموافق لـ 2002، ص 219.

[2]. يعد الأمير خالد من الرواد الأوائل الذين فكروا مليا في القضية الوطنية وقدم لفرنسا طروحات جديدة أثرت الساحة السياسية إيجابا، وللتعرف راجع : محفوظ قداش، الأمير خالد ونشاطه السياسي بين 1919 و1925، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 4، جانفي 1968، ص 19.

[3]. حول مساهمة النوادي والجمعيات الوطنية في تفعيل القضية الوطنية راجع : مريوش، نماذج من الجمعيات الجزائرية ودورها في تعميق الوعي الوطني ما بين 1900/1922، مجلة حولية المؤرخ، العدد 4/3، الموافق لـ 2005، ص 399.

[4]. أبو القاسم سد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2 و3، ط 4، دار الغرب الإسلامي بيروت 1992.

[5]. يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه 1912/1948، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية 1991، ص 45.

[6]. أحمد مريوش، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين 1931/1952، مجلة الرؤية، العدد 2، ماي جوان 1996، ص 114. وكذلك.

Omar carlier et autre : lettrés intellectuels et militants en Algerie 1880/1950 OPU Alger 1988 p 54 .

[7]. مريوش، دراسة النزعة العقلانية والوطنية في منظومة بن باديس الإصلاحية 1912/1940، مجلة المصادر، العدد 7، نوفمبر 2002، ص 83.

[8]. مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط 1، مطبعة دار هومة 2007، ص 59.

[9]. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح : مذكرات 1954/1925، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1977، ص 112.

[10]. حول مساهمة النادي في تنشيط وبعث اليقظة في الجزائر العاصمة راجع : عمر عيشون، نادي الترقي قلعة الإصلاح الأولى، ط 1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1989، ص 1.

[11]. لقد تناول بالدراسة الشيخ أحمد حماني الصراع الذي كان دائرا بين الجمعية والطرقيين في مؤلفه القيم بجزأيه : صراع بين السنة والبدعة ،ج 1، مطبعة البعث قسنطينة 1984، ص 161.

[12]. رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1956/1931، ط 2 ش، و، ن، ت الجزائر 1981، ص 323.

[13]. *Yvonne Turin; affrontements culturels dans l'Algérie coloniale écoles; médecines; religion 1830/1880; ENAL 1971, p 196 .*

[14]. قام محمد الحسن فضلاء وهو من مفتشي جمعية العلماء بدراسة هامة حول مسار التعليم الحر وعنون إنتاجه بـ : المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر في أجزائه المختلفة وطبع بدار الأمة. والعمل جدير بالقراءة لما فيه من حقائق وقضايا تاريخية هامة.

[15]. عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1962/1830، ط 1، ج 2، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2003، ص 204.

[16]. محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 الى 1939، ط 1، ش، و،ن، ت الجزائر 1980، ص 46.

[17]. مريوش، الطيب العقبي، ص 211.

[18]. كانت معظم الرحلات تدون على صفحات جريدة البصائر لتوسع الإعلام للجزائريين حول نشاطات الجمعية وكذا حيثيات هذه الخرجات ومدى علاقاتها بالعديد من الشخصيات ورجالات الحركة الوطنية وهي اليوم تعد ثروة هامة لدراسة أدب الرحلات الذي يصب في خدمة القضايا التاريخية العديدة.

[19]. مريوش، الطيب العقبي، ص 319.

[20]. لقد قمت بدراسة حول الجمعيات والنوادي الوطنية التي تأسست في الجزائر منذ مطلع القرن إلى عشية الحرب العالمية الثانية في العمالات الثلاثة بما فيها منطقة الجنوب، وقد أحصيت الكثير منها، وكان للجمعية نصيب كبير في ذلك، وقدر عددها الإجمالي بحوالي : 143 وهي موزعة كما يلي : عمالة قسنطينة بـ : 67، وعمالة الجزائر بـ : 55، وعمالة وهران بـ : 10، والحنوب بـ : 11، وسوف أنشر هذه الدراسة لاحقا.

[21]. لقد لعبت الحركة الكشفية بزعامة محمد بوراس الدور الأساسي في تكوين الأجيال الجزائرية المتشبعة بالمبدأ الوطني، وذلك خلال الحركة السياسية وحتى أثناء الثورة المظفرة، وللمزيد حول الموضوع راجع : الشيخ بوعمران ومحمد جيجلي، الكشافة الإسلامية الجزائرية 1955/1935، ط 1، دار الأمة الجزائر 1999.

[22]. للمزيد حول هذا الملف راجع : مريوش، الطيب العقبي، ص 132.

[23]. جريدة الإصلاح، العدد 18، السنة الثالثة عشرة، الموافق لـ 10 فيفري 1940.